حول التأثيرات الفينيقية في بلاد المغرب القديم

د. محمد الهادي حارش

قسم التاريخ

جامعة الجزائر

ملخص:

كان التوجه السائد في البحوث التاريخية والأثرية في القرن الماضي ، هو تأكيد الهيلنة و الرومنة وما كدنا نبتعد ونتخلص من هذا التوجه حتى جاء توجه أخر لتأكيد " الفينقة "، التي أصبحت وكأنها حقيقة لا غبار عليها، وهذا في إطار تغيب كلي للعنصر المحلى، ففي الوقت الذي كنا ننتظر فيه اندفاع الباحثين الوطنيين منهم خاصة للتركيز على دراسة البقايا التي نسميها الليبية (النوميدية – الموريطانية) بجرد ما تبقى منها وتصنيفها ، نجد جهود هؤلاء تنصب على الفينقة ، وإبراز دورها في تمدين هؤلاء "البربر" الذين كانوا يعيشون في ليل ما قبل التاريخ، قبل أن " ينتشلهم هؤلاء ويدخلونهم التاريخ "، هكذا ...وهي الصورة التي لم يتمكن الفكر الاستعماري التخلص منها، فعزم على تكريس في أذهاننا، فكرة العجز والقصور عن إقامة الدولة وبناء الحضارة، وبالتالي ضرورة العيش في ظل الأجنبي مثلما هو في حالة " الفينيقي " الذي جاء على " فراغ " يحمل رسالة التمدين والتحضير، لهذه الشعوب التي تغوص في غياهب ما قبل التاريخ.

فإذا كان هذا هو الدور الذي نسب للفينيقيين قديما، فإن الرجل الأبيض جاء ليضطلع بنفس الدور حديثا ما دمنا قد استعصينا على الحضارة.

مقدمـــــة:

طرح سؤال" التأثيرات الفينيقية" في مسابقة الدخول إلى السنة الأولى ماجستير بقسم التاريخ أكثر من مرة، آخرها أكتـوبر 2007، وهو في الواقع "سؤال إشكالية"، يستوجب في رأينا دراســة تتجـاوز حدود مستوى مسابقة الدخول إلى الماجـستير، التــي تكــون فــي موضوعات التدرج، إذ لا يمكن في رأينا - دائمـا- إختــزال هــذا الموضوع المتشعب في ثلاث ساعات من الامتحان، إذ يمس جوانب مختلفة بدء بهوية الفينيقيين ذاتهم، وهل نتحــدث عــن الفينيقيــين أم البونيقيين؟ وتكرار السؤال في هذا المستوى، معناه إقرار بالنتيجة.

هذا الإقرار يتبعه إقرار آخر، بتعاقب التأثيرات الأجنبية فــي تاريخنا: الفينيقية، الرومانية، الوندالية، البيزنطية...، ولا يــسعنا إلا التساؤل، هل يعقل أن نغيب هكذا بالكامل، ونتصور "كمشة" من تجار قادمين من الشرق، يحملون معهم حضارة "جاهزة" إلى هذه "الجموع" التي مازالت تعيش في ليل ما قبل التاريخ الطويل ؟

يبدو لي من المجازفة التسليم هكذا بالأشــياء دون نظــر، إذ يستشف من المصادر المتوفرة - رغم قلتها وشحها وتحيزها - فــي أحيان كثيرة، أن الليبيين - أسلافنا- لم يكونوا غائصين في بدايات ما قبل التاريخ عند قدوم هؤلاء الملاحين الفينيقيين، عرفنا من خلال تلك المصادر، أن تأسيس قرطاجة في أواخر القرن التاسع قبــل مــيلاد المسيح عليه السلام (814 ق. م)، قد تم في ظــروف ســلمية، وأن

المدينة لم تواجه بعمل عدواني على اثر انتحار الأميرة -عليسا- (JUSTIN , XVIII , 61) وإنما بمقتضيات تعبر عن تحضر وسلطة مركزية منظمة، وليس عن زمرة من الرحل، كما تحاول المدرسة الكولونيالية، الإيحاء به، حتى ترسخ في أذهاننا روح الانعزالية والقصور، ورحنا نحن نردد، وكأن تلك حقائق لا يرقى إليها الشك.

إذن عند تأسيس قرطاجة، كان هناك كيان وسلطة سياسية ليبية، هذه السلطة، تواصلت فعليا لعدة قرون، مادامت قرطاجة، ظلت تدفع لها الضريبة حتى وهى قوة بحرية (JUSTIN ,XIX,1) إذ لم تتنكر للضريبة التي كانت تدفعها للأهالي حتى القرن الخامس، هذا القرن الذي عرفت فيه قرطاجة تحولا عميقا في سياستها (JUSTIN , XIX, 2)، وهو التحول الناتج عن هزيمتها في معركة هيميرا سنة 480 ق.م، مما ترتب عنه الحد من نفوذها البحري في الحوض الغربي للمتوسط، فتنكرت أولا للضريبة التي كانت تدفعها للأهالي (مابين 475 – 450 ق. م)، وشرعت ثانيا في احتلال أراضي المغاربة، حيث كونت لها كيانا قاريا بعد أن كانت تكتفي بالسيطرة في البحر(Gsell (S.), 1912 p.464)

إذا كانت هناك أنظمة سياسة في منطقتنا المغاربية عند قدوم هؤلاء الملاحين الفينيقيين، آلا يحق لنا أن نتساءل عن أصول " المدينة " في بلادنا المغاربية، لا اعتمادا فقط على كون بعضها تحمل أسماء ليبية، فحسب، بل إن الكثير منها واقعة في المناطق الداخلية وخارج الأراضي البونيقية، وأكثر من ذلك أن تحتوى مقابر هذه المدن

أثاث جنائزي أصيل (Camps G . 1979 p.48)، ومماثل للمقابر الريفية، وان نكتشف مراسيم جنائزية غير معروفة عند الفينيقيين، هنا إشارات قوية، لا يمكن إهمالها حول تأسيس هذه المدن ونوعية أعمارها، فمدينة مثل قيرطا، لم تكن أبدا تحت سيطرة الفينيقيين، ولم تكن من تأسيسهم، وهو شأن سيقا ومدن أخرى كثيرة (Camps G. 1979 p.48).

إذا كانت كل تلك البقايا، تدل على انتظام تلك الممالك، التي تحدثت عنها مصادرنا قبل قدوم هؤلاء الملاحين الفينيقيين، وإذا حاولنا إن نبحث في نظم تلك الممالك والمدن، نجد أنها لم تكن منسوخة عن نموذج فينيقي، مادمنا نجد خصوصيات محلية، بالتأكيد وجدنا الشفطية في بعض المدن النوميدية والموريطانية، لكننا نجد تشابها في الأسماء مع اختلاف الوظائف، إذ نجد ثلاثة أشفاط في مكثر، بينما لا نجد أكثر من اثنين في قرطاجة، أكثر من ذلك نجد في ثوقة، العاصمة الملكية بعض الوظائف البلدية، لم تكن معروفة عند الفينيقيين، ما دمنا نجد المصطلحات الليبية التي تشير إلى تلك الوظائف، بقيت دون ترجمة في النص البونيقي، الذي اكتفى بنقلها كما هي في اللغة الليبية (Camps G . 1979 p.51).

وهكذا ندرك، أنه عند قدوم هؤلاء الملاحين الفينيقيين، لم يأتوا على فراغ، كما تحاول المدرسة الكولونيالية ترسيخه في أذهاننا، وأن عليسة، طلبت من ملك محلى أن يبيعها قطعة أرض، لتبنى المدينة الجديدة، قرط-حدشت، وان انتحار

عليسة بهدف التخلص من متطلبات هذا الملك " هيرباص " ملك الماكيستانى (*Maxitains*) عند يوستينوس (JUSTIN , XVIII , 6) (*Justin*)، والمازيكس (*Mazices*) عند يوسثات (*Eusthate*)، وفى استمرار دفع تلك الضريبة حتى في أيام قوة قرطاجة، يعنى قوة هذه الأنظمة، التي وجدناها، تتدخل حتى في شؤون قرطاجة مثلما حدث مع حنون الذي استنجد بملك " ماورى " ليصل إلى الحكم في القرن الرابع (Justin ,XXI, 4,) .

إذا كان ذلك هو الواقع الذي يستشف من مصادرنا، لنحاول الآن استجلاء "التأثيرات الفينيقية" التي يتحدث عنها مؤرخو المدرسة الكولونيالية في المجالين المادي والمعنوي، والتي رحنا نحن نرددها.

نتعرض في المجال المادي إلى: الزراعة، الحرف والتعدين، وفى المجال المعنوي إلى اللغة والكتابة وكذا المعتقدات.

في مجال الزراعة: نجد إجماعا عند المؤرخين على قدم زراعة الحبوب (القمح، الشعير بالخصوص) في بلاد المغرب(Gsell (S.), 1912, p.235-36.)، وأنها تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وقد رأى كومس في بعض الأدوات القفصية الدليل على بداية الفلاحة كما يرى في المناجل المكتشفة في مناطق متفرقة من الجزائر الحالية، والتي تعود كلها إلى الحضارة القفصية العليا الدليل على أن الإنسان القفصي، قد مارس عملية جنى الثمار منذ أوائل العصر الحجري الحديث(Camps G . 1961, p.69).

ويمكننا القول بناء على ذلك، أن الليبيين، لم ينتظروا قدوم هؤلاء الملاحين للشروع في زراعة الحبوب، وهو شأن تربية المواشي: الأبقار، الأغنام، الماعز، والخيول، التي كانت بلاد المغرب مضرب الامتثال عند القدامى منذ عصر هوميروس(Homere, V, p .85- 89.) وهيرودوت (Herodote , IV, 187.) إلى عصر بوليبيوس (Polybe, XII , 5.)، وليفيوس (Tite Live, XXIX ,31.) وسالوستيوس (Salluste, C.)

XL VII، بل يرى بعض الباحثين أن تربية المواشي عند الليبيين ، كانت أكثر ازدهارا منها عند الفينيقيين والبونيقين من بعدهم (Basset, H., 1921, p. 347.).

في مجال التشجير إضافة إلى التين والزيتون، فقد عرف الليبيون (المغاربة القدامى) اللوز والكروم والنخيل كأشجار محلية (Gsell (S.), 1927, p.199.).

شجرة الزيتون: هناك اختلاف بين الباحثين حول الموطن الأصلي لشجرة الزيتون، ففي الوقت الذي يرى فيه دى كاندول(De Candolle, A., 1935, p. 624.) أن الموطن الأصلي لها هو آسيا الصغرى، من حيث انتقلت إلى مصر ثم إلى بلاد الإغريق وايطاليا، رأى جماعة من علماء النبات الذين حاولوا التوفيق بين الدراسات العلمية والمعطيات التاريخية، أن الوطن الأصلي لشجرة الزيتون، هو كريت وجزر بحر ايجة، من حيث انتقلت إلى سوريا وفلسطين في القرن الخامس عشر ق. م، ثم إلى مصر في القرن الثالث عشر ق.م في عهد رمسيس الثاني (Camps – Fabrer ,H ., 1953, p .11.)، والإغريق الذين نقلوها إلى ايطاليا عرفوها بدورهم عن طريق الكريتيين، لكن كلا الرأيين لا يسلم من العيوب، أما فيما يخص الرأي الأول، فنجد ما يبث الشك فيه، فيما ذكره هيرودوت (Herodote , I, 193.) من أن الأشوريين لا يعرفون زيت الزيتون، ولا توجد عندهم تسمية له، فلا يعقل أن يكون الموطن الأصلي له آسيا الصغرى، وينتقل منها إلى سوريا و فلسطين ومصر، دون أن يعرفه الأشوريون، أما فيما يخص الرأي الثاني، الذي يرى أن المصريين ، عرفوا الزيت في القرن الثالث عشر ق. م، سواء عن طريق كريت وجزر بحر ايجة أو عن طريق الشام التي وصلها من جزر بحر ايجة في القرن الخامس عشر ق.م، فنجد في الآثار المصرية، ما يفند ذلك، إذ تبين تلك الآثار، أن المصريين عرفوا شجر الزيتون وزيت الزيتون عن طريق الليبيين، منذ ما قبل عهد الأسرات أي منذ أواخر الألف الرابعة ق .م (Joleaud, L., 1929, p.28.) ، إذ تشير لوحة " التحينو " التي عثر عليها في أبيدوس إلى شجيرات الزيتون ضمن الغنائم التي جلبها أحد ملوك

هيراكليوبوليس –ربما- الملك العقرب أو الملك نارمر، فالي جانب الثيران والحمير والأغنام ، نجد أسفلها شجيرات الزيتون بالقرب منها العلامة التي تدل على التحينو(Moret A., 1857, p .36.)·

وأقدم الإشارات التاريخية إلى الزيتون وزيت الزيتون أتتنا من منطقة مراقية (مرماريداى) حاتى (Hati, Hatet)، الذي استخدم لدهن جباه الآلهة والملوك، وقد نعت في نصوص الأهرام ب "تحنت" (Thent) أي الليبي (Moret A., 1857, p.89 n°1.)، وقد تمت الإشارة إلى أهمية هذه الزيت بالنسبة للفراعنة على عدة صلايات ملكية تعود إلى العهد الثينى (Moret A., 1857, p.89 n°5-6.)·

وقد عرف الزيت الذي استخدمه المصريون لدهن جباه الملوك منذ العهد الثينى* بحاتت، واعتمادا على أن شجرة الزيتون لم تكن شجرة برية في حوض نهر النيل، وان زراعتها لم تتكاثر وتنتشر إلا جزئيا في عهد الدولة الحديثة، والعكس في ليبيا (بلاد المغرب)، حيث نجدها شجرة برية، يمكننا أن نقر أن الاسم الذي يطلقه المصريون على الزيت " حاتت" ليس من أصلى محلى، وانه مشتق من التسمية الليبية "أحاتيم" التي يراها جولود موغلة في القدم (Joleaud, L., 1929, p.29.) ، وهناك إشارات إلى المبادلات التجارية مع مصر منذ عصر مبكر، ومن بين ما يشتريه المصريون زيت ليبية متخثرة جدا، نجدها مذكورة على كل القوائم الإهدائية التي تتكون منها وجبة الملوك والآلهة والأموات المؤلهين(Joleaud, L., 1929, p.29.) ·

وهكذا نلاحظ قدم استخدام الزيت عند الليبيين رغم رأى باسى المخالف، إذ يرى في وجود تسميتين حاليا للدلالة على شجرة الزيتون ما يدعم رأيه، إذ يرى أن كلمة " أزمور" الليبية تطلق على شجرة الزيتون " البرية " بينما تسمية " الزيتون" السامية تطلق على شجرة الزيتون "المغروسة" ، وبالتالي في رأيه يكون الفينيقيون قد أدخلوا زراعتها ،كما علموا الليبيين فن استخراج الزيت من الزيتون (Maspero,

(1897, p .22 وكذا عدم وجود تسمية للزيت في اللغة الليبية ماعدا كلمة " أوذى" التي تعنى المادة الدسمة عموما (Basset, H.1921, p. 348.)·

طبعا لا نحتاج إلى فطنة وذكاء حاد لتفنيد هذا الادعاء، فكلمة " أوذى " لا تعنى المادة الدسمة عموما بقدر ما تطلق على " الزبدة "، وهذا في كل لهجات اللغة الليبية من" سيوة" بمصر إلى السوس " بالمغرب الأقصى"، أما عن "الزيت" فقد أشرنا سابقا إلى معرفة المصريين لها عن طريق الليبيين منذ العصر الثيني، أما عملية الغرس، فقد عرفها المصريون من منطقة مراقية بليبيا، منذ عصر ما قبل الأسرات، بنقل شجيرات الزيتون، وحتى التسمية التي يكون المصريون، قد أطلقوها عن هذه المادة "حاتيت"، تكون مشتقة من التسمية الليبية "أحاتيم"، مما يعنى أن الليبيين غير مدينين للفنيقيين في هذا المجال.

أما تسمية " أزمور " التي يرى باسى (Basset, H., 1921, p. 348.) أنها تطلق على الزيتون البرى، فهو خطأ آخر يعود لجهله " باللغة الليبة " لان الزيتون البرى، يعرف ب " أزبوج " ونجد في سعة انتشار هذه التسمية في العالم الليبي من سيوة وغدامس والأوراس حتى جرجرة والريف والسوس ما يدل أيضا على جذورها المحلية (Camps G. 1961, p.89)، بينما كلمة "أزمور" تطلق على الزيتون المغروس والمطعم في أن واحد، وقد عرف المغاربة القدامى التطعيم قبل قدوم الفينيقيين(Camps G. 1961, p.89) وعرفوا استخراج الزيت من الزيتون (العصر)، منذ عصور قديمة، مادامت النصوص المصرية، التي تعود إلى أواخر الألف الرابعة وأوائل الألف الثالثة، تتحدث عن الزيت الليبية، التي تستخدم في دهن جباه الملوك.

والمعروف أيضا أن شجرة " التين " هي شجرة برية، ولكن مع ذلك يقول "باسي"(Basset, H., 1921, p. 348.) أن البونيقيين، هم من علموا الأهالي غراستها وبالخصوص " تأبيرها "، وكأن عملية الإخصاب لا تتم بطريقة تلقائية طبيعية ، وبالتالي حاجة المغاربة إلى تعلمها من طرف آخر، وهذا ما يدفعنا إلى التفكير في

أن أبسط التقنيات الزراعية غريبة عن المغاربة، وأن هذه الأمة التي عرفت الزراعة منذ العصر الحجري الحديث، كانت محرومة من كل مبادرة محلية.

أما اعتبار"هنرى باسي" اللغة الليبية فقيرة في هذا المجال، مما لا يسمح له بالمراقبة، فأقول أن كلمة أزار (Azar) أو " تازارت" بالأدق التي استند عليها، وترجمها حبة التين(Basset, H.1921, p. 348.) (La figue)، فهي تعنى حبة التين الجافة، وعكس ما ذهب إليه تماما، فاللغة الليبية في هذا المجال ثرية جدا، سواء فيما يخص الشجرة أو الثمرة في مختلف مراحل التفتح، النضج والتجفيف: تقيرقوشت، ثفخسيست، اينيغم، ثازارت، وحتى الأنواع وهذا ليس مجالها.

يبدو نفس الشيء بالنسبة للكروم التي وجدت في شكلها البري في بلاد المغرب منذ الحقب الرابع (Battendier et trabut, 1892, p. 20 ; S.Santa , 1958 -59, p . 41)، لكن هذا لم يمنع بعض الباحثين القول بأن دخولها إلى بلاد المغرب، يعود إلى الفينيقيين (Picard (G ch .) ,1958 , p 89)، بل أكثر من ذلك، اعتبر كاركوبينو أن الفينيقيين هم الذين دفعوا المغاربة إلى الاستقرار، وبذر الحبوب، وغرس الأشجار المثمرة، وعلموهم زراعة الكروم(Carcopino, J .1943 p .27) ، وهذا خلافا لكل المعطيات الأثرية واللسانية التي تؤكد قدم الزراعة في ليبيا القديمة، والتي تعود إلى العصر الحجري الحديث.

هذا حول الزراعة، أما من حيث أدوات الإنتاج، فيرى كثير من الباحثين أن الليبيين كانت لهم تقنياتهم الخاصة(Decret F, Fanter M., 1981, p . 134)، وهي تقنيات قديمة، تعود إلى ما قبل الفينيقيين بزمن طويل، كما كانت لديهم عادات مميزة خاصة على مستوى الأدوات المستخدمة وطرق الاستغلال (حارش م ، 1995، ص 118) ، فعلى مستوى الأدوات، استخدم المغاربة القدامى المجرفة، وذلك قبل معرفة المحراث، كما استخدموا المعول وأنواعا من المعازيق المحلية، التي يرى كومس في بعض صور والأدوات النيوليتيكية شهادة على قدم استخدامها في بلاد المغرب (Camps G.

(p.89 ,1961)، وهو شأن المحراث الذي أجمعت الدراسات على وجود محراث محلي، لا يد فيه لا للفينيقيين ولا الرومان من بعدهم (حارش م ، 1996، ص 86-87) بل تساءل باسى إن لم يتبن القرطاجيون محراث الأهالي (Basset, H., 1921, p. 345.).

وفي مجال الحرف، أقر باسى بجاهيزيته أو استعداده لافتراض أن التأثيرات البونيقية جد معتبرة، نظرا لعلاقات المغاربة بالفينيقيين القديمة أولا ثم بعد ذلك، اعتبار قرطاجة أحد المراكز الصناعية في غرب المتوسط، وبالتالي يفترض إشعاع تجارتها على المغرب، لكن عندما درس الأمر عن كثب، أدرك أنه لا يمكن الاستئناس إلى المظاهر(Basset, H., 1921, p. 349-50.)، ففي مجال صناعة الفخار، لاحظ تعايش تقنيتين التقنية الأولى " يدوية " دون استخدام الدولاب ولا الفرن ويحرق الفخار في الهواء الطلق، وهو من صنع النساء، ويوجه للاستهلاك المحلى، وهذا النوع قديم جدا، والتقنية الثانية هي التي تستخدم الدولاب والفرن، وهو فخار ذو تقنية عالية، يوجه للبيع في الأسواق (Basset, H. 1921, p. 350.) .

النوع الأول قديم جدا، وأقدم بكثير حتى من الوجود الفينيقي، ويقدم تشابها عجيبا في تقنياته وإشكاله وزخارفه مع الفخار الريفي الحالي(Camps G. 1961, p.351)، وحتى استخدام الدولاب والفرن قديمين في ليبيا، وفرن الفخار البونيقى المعروف بشكل جيد عند الأثريين، يختلف عن فرن حرفي شمال إفريقيا، فلا شيء في هذه التقنية يؤكد التأثير البونيقى حسب باسى، وحتى الزخارف، تختلف عن الزخارف البونيقية(Basset, H., 1921, p.351)

وقد توصل " باسى" (Basset, H., 1921, p.351) إلى نفس الحقائق في مجال صناعة المعادن، حيث لاحظ تعايش عدة تقنيات، ويظهر اختلافها في الأداة الأساسية عند الحداد وهي "النافخ " حيث لاحظ وجود ثلاثة أنواع : 1)النافخ ذو الصمام المضعف الذي يستخدم في الحديد والنحاس. 2) النافخ ذو الحقيبة، وهو النافخ الذي يستخدمه الحدادون المتجولون لصناعة خاصة الحلي والحديد الأبيض وأحيانا النحاس 3) نافخ مضعف، يتشكل من نافخين، يقدم نفخا مستمرا.

والذي يهمنا هو النوع الثاني، الذي يستخدم في صناعة الحلـــي، ويمكننـــا الاعتقاد بقدمه في شمال إفريقيا، وفي مجال الحلي، نجد أن الحلي المميزة هي حلي منطقة القبائل بالجزائر وإقليم السوس بالمغرب الأقصى، وهـــى تختلـــف اختلافـــا واضحا عن الحلي القرطاجية.

وفى مجال الأنسجة، لا نعرف إلا شيئا قليلا عن الأنـــسجة البونيقيـــة، ولا شيء عن تقنيات صنعها، ممالا يسمح لنا المقاربة المباشرة، و مع غياب الوثـــائق، يمكننا اللجوء إلى الزخارف، زخارف الأقمشة الليبية التي يمكنها أن تعطينا بعـــض الإشارات إن درسناها عن كثب، ندرك بسهولة أن عناصرها عادية، وهـــى نفـــس العناصر الهندسية التي نجدها أيضا على الفخار وعلى الحلي والوشم، منذ عـــصور ما قبل التاريخ، وهى تقدم وحدة ملحوظة مهما كانت المادة المستخدمة، وهذا الفـــن الزخرفي، لا علاقة له بالزخارف الفينيقية وسابقة له، مما يعنى أيضا اســـتبعاد أي تأثير فينيقي في هذا المجال.

وهكذا نلاحظ أن التأثيرات الفينيقية ومن بعدها القرطاجيـــة فـــي المجـــال المادي، كانت محدودة إن لم تكن منعدمة، ففي كل مجال، تمكننا فيه من تحديد تقنية محلية وفق تعبير" باسى "، أدركنا أنها ليست فينيقية (Basset, H., 1921, p.354.).

في المجال المعنوي :

إذا كانت تلك هي وضعية التأثيرات في المجال المـــادي، ففـــي المجـــال المعنوي، يبدو الأمر أكثر تعقيدا باعتبار أن ما تركه لنا المؤرخون القدامى في هذا المجال لا يشفى الغليل، لا في مجال المعتقدات ولا اللغة والكتابـــة، فـــضلا عـــن النظم، وهو الأمر الذي يجعل اللجوء إلى اللقى الأثرية أمرا حتميـــا، كلمـــا أمكـــن الاستعانة بها، ففي ما يخص ديانة الليبيين، يمكن للنقـــوش أن تقـــدم لنـــا بعـــض الإشارات العابرة، لكنها كافية لإعطائنا دليل وجود مجمع آلهة (بانثيون) محلـــى،

يختلف لا عن البانثيون الإغريقي الروماني، فحسب، بل عن البانثيون القرطـــاجي أيضا.

ونجد في نقشين، اكتشف الأول ريبود(Reboud)، نقرأ فيه :

اله النوميديين (Mercier, G, 1900, p .180) Deo Num [idarum]

الكبير Mag [no]

والثاني اكتشفه بول (M.poule)، سنة 1890 بعين الكبيرة بضواحي سطيف :

الاله الوطنى Deo patrio

الإله الحي Baliddir * Avg

المقدس (C.I.L., 19 121) Sacrvm

وهكذا، إذا كان النقش الأول يسمح لنا بافتراض وجود في نوميـــديا "الـــه أكبر"، لم يكن مجرد رمز سحري خلافا لما يدعيه الكثير مـــن بـــاحثي المدرســـة الكولونيالية الذين يحاولون تأكيد عجز الليبيين عن إبراز مـــن عـــادتهم الـــسحرية "شخصية إلهية كبرى" دون أن يكون ذلك بمـــساعدة أجنبيـــة(Basset, H., 1921, p.366) ، نجد في إعطاء النقش الثاني صفة "الوطني" لهذا الإله "الحي" "المقدس" الدليل علـــى تجاوز مرحلة "الإله الأكبر" إلى "الإله الوطني"، ممـــا يفنـــد ادعـــاءات المدرســـة الكولونيالية التي انصبت جهودها على إبراز عجز الليبيين القدامى، وتأكيد حـــاجتهم إلى العيش في ظل الأجنبي - تعاقب المحتلين- وتغيب العنصر المحلى فـــي صـــنع تاريخه.

إذا أضفنا إلى النقشين السالفين ما رواه شيـــشرون عـــن تـــضرع الملـــك مسينيسا إلى الـــشمس "كالـــه أعلـــى" (summe sol) (Ciceron, De la republica, 5, 4.) وكذا شهادة هيرودوت (Herodote , V, 188.) عن عبادة الليبيين " الشمس والقمر" قبل ذلك بزمن طويل، ندرك أن الليبيين كانت لهم آلهتهم ومعتقداتهم عند قـــدوم هـــؤلاء الملاحين الفينيقيين.

في قرطاجة الآلهة الكبرى هي: بعل حمون وتانيت، والبحث في أصول هذين المعبودين يصطدم بالعديد من الصعوبات، فتانيت مثلا تمثل مشكلة، لأننا لا نصادف اسم "تانيت" ضمن مجموعة الآلهة التي عبدت في المدن الفينيقية الشرقية، ومحاولة تشبيهها ب" عشترت"، التي درج عليها المؤرخون المحدثون، تصطدم ببعض الاعتراضات، لأن عشترت، كانت رمزا للخصب ومرتبطة بالأرض، بينما كانت "تانيت" ربة سماوية، مرتبطة بالقمر، ومما يدعم رأينا هذا الهلال والقرص، اللذان يظهران على كثير من المباني الدينية في المواقع الفينيقية الغربية، وكانا يرمزان للآلهة "تانيت" وزوجها "بعل حمون" الأولى التي تعد في النقوش وجه الثاني " الأولى "القمر" والثاني "الشمس".

وإذا عرفنا أن تغييرا جوهريا، قد حدث في الديانة القرطاجية بداية من القرن الخامس ق.م على اثر هزيمة قرطاجة في معركة "هيميرا" عام 480 ق.م وما نجم عن ذلك من تغييرات في سياستها داخليا وخارجيا، وانفصالها عن الوطن الأم، أدركنا كيف فقد " ملقرت" و "عشترت" مكانتهما التي احتلها "بعل – حمون " و"تانيت"، فهل يسمح لنا هذا بالقول أن قرطاجة التي درجت سابقا على حفظ مكانة معتقداتها الشرقية، قد بدأت تتبنى آلهة محلية، مثلما عبر عن ذلك قزال الذي قال: "بتبنى "آمون" الإله الرئيسي عند الليبيين، تكون قرطاجة، تريد التصالح مع سيد البلاد التي أحتلتها"(Gsell (S.), 1920, p.231.)، هذا ما لا نستطيع الجزم به، لكن هناك معطيات كثيرة تسمح لنا بافتراض ذلك، فالنصوص الهيروغليفية، تتحدث عن عبادة المصريين لآلهة أطلقوا عليها اسم " نيت تحينو" إي "نيت الليبية".

وإذا أدركنا التشابه الموجود بين "نيت" و "تانيت"، التي إن حذفنا منها " تا " البداية، الدالة على التأنيث في اللغة الليبية، حصلنا على " نيت" التي عبدها المصريون، مما يعطى أهمية كبيرة لهذه النصوص، التي تؤكد الأصل الليبي لهذه المعبودة، وهو ما دفع بقانيول (Peganiol, A., 1956 -57, p. 818) إلى الدعوة إلي وجوب التخلي عن البحث لإيجاد اشتقاق سامي لإسمها، والتساؤل لماذا لا نقبل بتأثيرات

ليبية على البانيثون القرطاجي ؟، وهو رأى ديسو أيضا الذي يقول: "أن بالإقامة في قرطاجة تعرف الفينيقيون على الآلهة المحلية الكبرى وتبنوها" (DUSSAUD, 1920, p.364).

هذا حول "تانيت"، أما بخصوص عبادة بعل حمون، فكانت سهولة وسعة انتشار عبادته في صفوف الأهالي مثار تساؤلات واستغراب الخبير باللغة البونيقية جيمس فيفري (Fevrier J.G)، الذي يرى أنه لم يسبق للمغاربة أن انتشرت في صفوفهم عبادة خارجية بنفس السهولة التى انتشرت بها عبادة " بعل حمون"، وهذا ما دفعه إلى الاعتقاد بوجود جذور محلية لها (Fevrier J. G, 1964, p.419.).

وقد تساءل هنري باسي (Basset, H., 1921, p. 359.) بدوره حول المعتقدات الفينيقية ما إذا كان لها مفعول عميق في المعتقدات الليبية ، ام لا ؟ ولكنه يخلص مع ستيفان قزال(Gsell (S.), 1920, p.225.) إلى أنه لا شيء مؤكد، وان المعلومات المتوفرة حول الديانة القرطاجية قليلة، لا تسمح بإعطاء رأى نهائي في الموضوع، لكنه يستمر (أي باسى) في تساؤلاته، فيقول ما ملخصه: "إن المعتقدات القرطاجية تبدو أنها كانت متفتحة على التأثيرات الخارجية وبالتالي إمكانية تبنى القرطاجيين لآلهة محلية (Basset, H., 1921, p. 362.).

إذا أخذنا بهذا الرأي واعتبرناه ممكنا، أيمكننا اعتبار آمون وبعل حمون إلها واحدا ؟ أيمكننا ترجيح إمكانية حدوث عملية مزج بين الكلمة الفينيقية "بعل" التي تعنى "السيد أو الإله" وكلمة "آمون" الليبية التي تعنى الإله المعبود عند الليبيين قبل قدوم الملاحين الفينيقيين إلى المنطقة المغربية، وظهور نتيجة عملية المزج هذه الإله "بعل آمون" أو "بعل-حمون"، إشكال نطرحه للمناقشة رغم إننا نميل إلى عدم استبعاد الفكرة للدواعي التالية:

1) أن امون كان يرمز له بالكبش "قوة القطعان الليبية" وان عبادة بعل-حمون كانت لها أيضا صلة بالكبش.

2) عبد آمون عند المغاربة كإله الـشمس وكـذلك كـان بعـل-حمـون عنـد القرطاجيين.

3) صعوبة التفريق بين "الإلف" و" الحاء" و" الهاء" في الكتابة البونيقيـة، وهـذا واضح في نقوش معبد الحفرة، التي ينقش فيها اسم هذا المعبود "بعل-حمـون" فـي بعض النقوش مثلما هو في النقش التالي:

1) للرب، لبعل حمون وإلى السيدة تاينت وجه بعل، نذر.

1- Au Seigeur , a baal Hammon et a la dame tanit , Face de Baal , voué

2) نذره، عبد ملقرت، بن أوزميلك، تسمع.

2- Qu'avoué abdmelquart Fils de ozmilK ,tu entendras (ou tu entends

3) صوته، باركه.

3- Sa voix , benis-le (Berthier A, Charlier., A. 1955, insc n°3 pl. 27A)

وبعل أمون في نقوش أخرى مثلما هو في النقش 81 ، اللوحة 15 د :

1-Au seigneur , Ammon et à T anit	1) للرب، أمون وتانيت
2-Face de Baàl (ce) Qu'a voué Himiled	2) وجه بعل، نذره حيميلد

3) إلتقى، بن بعل سيلك، المستشار لأنه سمع صوته، فباركه.

3-(Le) Myster, Fils de Baàl silek le conseiller parce qu'il a entendu sa voix il la béni

<u>**وورد في نقش واحد بالصيغتين :**</u>

1-pierre (stèle) qu'a voué mattan	1) حجر (نصب) نذره ماتان
2-Baàl Fils de y'r à Ammon	2) بعل بن ي ر لأمون
3-Au seigneur a Baàl Hammon	3) للرب، لبعل حمون
4- et à Tanit face de Baàl	4) وتانيت وجه بعل

5) سمع صوته، فباركه (Berthier A, Charlier., A. 1955, insc n°3 pl. 27A) 5-Il a entendu sa voix il la béni

4) أن عملية المزج هذه أي المزج بين بعل (الفنيقي وأمون الليبي)، لم تكن الأولى، إذ سبق للمصريين أن مزجوا بين الإله "رع" إله الدولة القديمة في ممفيس و"آمون" في عهد الدولة الوسطى، عندما انتقل الحكم إلى طيبة ، ليصبح "أمون -رع" (حارش م 1988، ص11–19.)، وهو أيضا ما فعله سكان قورينة من الإغريق الذين مزجوا بين "أمون" إله الليبيين و"زيوس" اله الإغريق، فظهر (زيوس-آمون)، الإله الأعلى لإغريقى قورينة، الذين تأثروا بالمعتقدات الليبية، وانتقلت هذه العبادة إلى مدن الإغريق مثل أثينا، اسبرطة وميقالوبوليس وغيرها (Muller L 1860, p. 100 n° 1)، وهو ما حدث مع جوبتر في الفترة الرومانية الذي أصبح يعرف بجوبتر -أمون.

5)عدم عثورنا في المدن الفينيقية في المشرق على "معبود" بهذا الاسم "بعل-حمون" وكونه إلها للشمس.

كل هذه العوامل، تجعلنا نميل إلى الأخذ بأصول "بعل – حمون" الليبية، وأن كل ما حدث إنما هو كما رأينا عملية مزج بين كلمة "بعل" عند الفينيقيين التي تعنى السيد أو الإله، و"أمون" الإله الذي انتشرت عبادته في كامل بلاد المغرب من سيوة إلى الأطلس منذ أوائل العصر الحجري الحديث على الأقل.

إذا كانت تلك هي وضعية المعتقدات، فما الوضع بالنسبة للغة والكتابة؟

<u>أولا - اللغة</u> : اللغة المتكلم بها في قرطاجة وبعض المدن الساحلية هي اللغة البونيقية، واللغة البونيقية هي نتيجة تفاعل بين اللغتين الليبية والفينيقية القادمة من الشرق.

وفي مجال التأثير، يذكر سالوستيوس بخصوص اللغة المتكلم بها في "لبدة": "اللغة التي يتكلم بها سكان لبدة، تغيرت " Lingua conversa" مع الوقت على اثر الاختلاط مع النوميديين، لكن احتفظوا بقوانين وعادات صيدا بكثير من السهولة نتيجة بعدهم عن مركز القوة الملكية، إذ تفصلهم صحارى واسعة عن الجزء الأكثر سكانا من نوميديا (Sallustius, LXXVIII.).

إذا كان سكان "لبدة" بناء على سالوستيوس، قد احتفظوا ببعض العادات والقوانين الواردة معهم من صيد نتيجة انعزالهم وبعدهم عن مراكز العمران في نوميديا ، فلم يكن ذلك هو شأن اللغة الفينيقية التي تأثرت باللغة الليبية في مفرداتها وتراكيبها اللغوية، ودخلتها تعابير وأسماء محلية، اثر وصولها إلى المنطقة لدرجة، جعلت بعض المختصين في اللغات السامية يعتقدون بأن التعابير والمفردات التي تسربت إلى اللغة الفينيقية في بلاد المغرب لم تكن سطحية فقط، بل كانت عميقة جدا، لدرجة أطلق عليها اللغة البونيقية (Faidherbe, 1873, p. 58).

البونيقية إذن ليست هي الفينيقية، وهو ما يدفعنا إلى التساؤل إن لم تكن" البونيقية "تطلق في الفترة الرومانية عن كل ما هو إفريقي وغير روماني (Courtois C. 1950, p.265) فتكون صفة بونيقي (punicus) مرادفة لليبي (Libycus)، اذ نجد في النصوص التالية ما يبعث على هذا الاعتقاد:

1) أرنوبيوس الصغير (Arnobe le Jeune) ، وهو يتحدث عن لغات افريقيا يقول :

« habens Linguas sermone punico a parte Garamantum , Latino a parte Borae, Barbarico a parte meridiani Aethiopum et Aegyptiorum , AC barbaris Interioribus Vario Sermoné(Frend, W.H.C 1942, pp. 188-191)

" يتكلمون البونيقية في منطقة الجرامانت، اللاتينية في المنطقة الشمالية، لغة باربرية في المناطق الواقعة إلى الجنوب من بلاد الأثيوبيين والمصريين، ولغات مختلفة بالنسبة للباربارة الذين يعيشون في داخل القارة ".

2) في تاريخ أغسطس، نجد نصا يتحدث عن شقيقة الإمبراطور سبتيميوس سواريوس التي قدمت إلى روما، وهي لا تتكلم اللاتينية « vix latine loquens » (Histoire Auguste,XV)، وفي نص آخر يتحدث عن الإمبراطور نفسه الذي احتفظ بلكنة بلاده حتى شيخوخة (Histoire Auguste,XIX)" Afrum quidam usque ad senectutem sonans"

3) يعتبر القديس أغسطينوس حديث الحواريين يوم عيد العنصرة*(Pente-côte) بكل اللغات، شهادة على عالمية المسيحية وهو قوى بهذه الحجة يتهجم على الدونانتيين:

« Isli autem qui multum amant Christum,et ideo nolunt communicare Civitati quae interfecit Christum, sic honorant Christum, ut dicant illum remansisse ad duas linguas, latinam et punicam, id est afram. Solas duas linguas tenet Christus. Istae enim duae linguae solae sunt in parte Donati, plus non habet»

" يحبون كثيرا المسيح، لدرجة أنهم لا يريدون أن يكونوا على صلة بالمدينة التي قتلت المسيح، ويمجدون المسيح لدرجة الادعاء أن رسالته، لم تعهد إلا للغتين: اللاتينية و البونيقية أي اللغة الإفريقية. المسيحية ترتكز على لغتين فقط. اللغتان التي يتحدث بهما أتباع دوناتوس، لا أكثر (Courtois C. 1950, p.276).

4) النص الذي يتحدث فيه القديس أغسطينوس عن الأصل الكنعاني للموريين :

Interrogati rustici nostri quid sint , punice respondentes chanani(Courtois C. 1950, p.265)

" أسأل فلا حينا من يكونون، يجيبون بالبونيقية أنهم كنعانيون ".

---

* هو عيد تذكار حلول روح القدس على التلاميذ، يقع بعد عيد الفصح بخمسين يوما، عند اليهود هو عيد تذكار نزول الشريعة في طور سيناء، واللفظة عبرانية معناها اجتماع أو محفل.

بالنسبة للنص الأول، لا نعلق على اعتبار اللغة اللاتينية هي اللغة السائدة في الشمال، طبعا وفي ذلك نظر، لكن الملفت فعلا للنظر هو اعتبار بلاد الجرامانت (فزان) هي المنطقة التي تستخدم البونيقية، وهى منطقة استخدام الليبية، ومازالت تحتوى حتى اليوم على احد الجيوب المستخدمة لها، وبالتالي هل يمكننا القبول بالبونيقية لغة لأهل فزان والصحراء ؟!

إذا كان نص تاريخ أغسطس، لم يحدثنا عن اللغة التي تتكلم بها شقيقة الإمبراطور سبتيميوس سواريوس، ولا عن اللغة التي يتحدث بها الإمبراطور نفسه مادام قد احتفظ بلكنته الأفريقية حتى شيخوخته، لكن قوتي رأى بالطبع في هذه اللكنة " لكنة بونيقية "، وهذا اعتمادا على نص آخر يقول أن الإمبراطور يعبر بالبونيقية منها باللاتنية أو الاغريقية : « punica eloquéntia promptior» (Epitome de Caesaribus)

هذا في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلادي، لكن إذ عدنا إلى القرن الأول، نجد أن أحد أسلاف الامبراطور نفسه لا يملك من صفة البونيقي شيئا، لا في كلامه ولا في هيئته بناء على شهادة ستاس (Stace , silvae)، فهل يعقل أن يتكلم الإمبراطور البونيقية في القرن الثالث، في وقت لا تستخدم من طرف أسلافه في القرن الأول؟

وفي النص الذي يتحدث فيه القديس أغسطينيوس عن الحواريين وفلاحي أرياف عنابة نفهم :

1. اعتبار اللغة البونيقية هي اللغة الإفريقية باستخدام أي التفسيرية (id est Afram)

2. اعتبار اللغة البونيقية هي لغة الدوناتيين.

3. اعتبار فلاحى أرياف عنابة يتحدثون البونيقية .

هنا نلاحظ :

1) أن الحركة الدوناتية، قامت على كاهل الليبيين، حتى أنها أخذت طابعا عرقيا على رأي البعض(حارش م 1988، ص11–18.) وبالتالي لا يعقل أن يتكلم كل هؤلاء البونيقية ولا يجيدون الليبية.

2) نجد أن الجزء الجنوبي من نوميديا الذي كان مركز الحركة الدوناتية مازال يحتفظ إلى اليوم بأحد الجيوب الكبرى للبربرية "الليبية"، فلا يعقل أن يكون في القرن الخامس الميلادي مركزا للبونيقية التي تختفي تماما بعد ذلك، وتحل محلها الليبية؟

3) لا نناقش الأصل الكنعانى لفلاحي تلك الأرياف التي يتحدث عنها القديس أغسطينيوس، حيث يبدو تأثير التواره عليه واضحا ،وإنما قوله " يجيبون بالبونيقية " فالمنطقة التي يتحدث عنها القديس أغسطينيوس هي الأرياف الواقعة في ضواحي عنابة، وهي المنطقة التي عثر فيها على أكبر عدد من النقوش الليبية في كل منطقة شمال افريقيا، فضلا عن كونها (المناطق الجنوبية خاصة) المنطقة التي مازالت فيها الليبية (البربرية) حية حتى يومنا، وهو دليل على استخدام الليبية "كتابة ونطقا" مما يدل على أن المنطقة ذات عمق ليبي، ومازالت حتى الآن ولا نجد فيها أثرا للبونيقية.

4) نتساءل كيف نفسر اختفاء أو بالأدق زوال البونيقية بسرعة من المدن حيث كانت سائدة ، وتستمر في الأرياف حيث لم يسبق لها التواجد ؟

وهو الأمر الذي يجعلنا نقول أن كل البقايا والآثار، تبين بدقة، تجذر الليبية في المناطق التي تشير إليها النصوص السالفة سواء في فزان أو أرياف نوميديا مما يدعونا إلى الاعتقاد أن تلك النصوص ، كانت تطلق مصطلح بونيقي على كل

ما هو غير روماني، وبالتالي نقول أن مصطلح بونيقي في هـذه الحالـة مـرادف لمصطلح " ليبيي".

هذا حول اللغة، أما عن الكتابة، فيعد إختراع الكتابة من أبرز التطـورات الفاصلة في حياة الشعوب والأمم، ومن ثمة، فتوصل الإنسان الليبي القديم إلى هـذا الاكتشاف، يعد برهانا قاطعا على قدرته على إيجاد وسيلة تعبير واتصال مكنته من تجاوز مرحلة ما قبل التاريخ.

ومما يزيد الأمر أهمية أننا نجد الكتابة الليبية، تتواجد في كل مجال تواجد "اللغة الليبية " في المدن والأرياف، مادمنا نجد شواهد لها في مجال انتشار الليبيـين من واحة سيوة شرقا إلى جزر الكناري غربا، وحتى إذا كنا نعرف أنواعا (الشرقية، الغربية)، فهي تمتاز بوحدة عميقة في مجالها الواسع : وحدة في الـشكل والقيمـة وطريقة الاستخدام ، مما يعطيها بحق صفة " الكتابة الوطنية" (CHAKER S., HACHI S., 1994, p.114.)·

وهو ما يجعلنا نتساءل عن ميلاد "الخط الليبي" وهل صحيح كما يفتـرض عموما حتى الآن أن الخط الليبي مقتبس من الخط الفينيقي ؟ وإذا كان هذا الافتراض صحيحا، هل كانت هناك ضرورة للقيام بهذا الاقتبـاس المفتـرض؟ أم أن الكتابـة الليبية، ظهرت في وقت لا علاقة له بالتواجد الفينيقى في السواحل الليبية ؟

إذا كان حجم معارفنا الحالية لا يسمح لنا بالرد الـوافى عـن كـل هـذه التساؤلات والفرضيات، لكن هذا لا يمنعنا من الإشارة إلى أن ما قدم حتى الآن من فرضيات حول علاقة الكتابة الليبية بالكتابة الفينيقية أو البونيقية اللاحقـة لهـا، لا يرقى إلى مرتبة الإقناع :

1) تشابه بعض رموز الكتابة الليبية والكتابة البونيقية (IDEM,p. 120-121)·

2) الطابع الصامت للالفباء الليبية، مما يرتبها ضمن الالفباءات السامية(IDEM,p. 122).

3) اسم التيفيناغ الذي يستعمله الطوارق للإشارة إلى كتابتهم، الذي يبدو فيه جذر (ف ن غ) أو (ف ن ق) الذي يشير في رأى هؤلاء إلى اسم الفنيقيين (Camps G. 1996, p. 2569).

4) واقع عدم وجود بالنسبة للكتابة الليبية كتابة قبل ألفبائية، تدل على أننا أمام نظام أصيل (CHAKER S., HACHI S., 1996, p.117).

هذه الفرضيات لا ترقي إلى مرتبة الإقناع لأنه رغم التشابه في شكل بعض رموز الكتابتين: الليبية والبونيقية والتماثل النسبي في عدد الحروف (ثلاثة وعشرون حرفا في الليبية وما يماثلها في البونيقية)، غير أن هذا الميل محل اعتراضات قوية ووجيهة أبرزها :

1) الاختلاف الواضح في شكل الحروف، حيث لا يوجد في الكتابة الليبية سوى حرفان متشابهان للحروف البونيقية على رأي البعض أو ثلاثة حروف على رأى البعض الأخر(IDEM, p. 120-121 et Camps G. Loc. Cit).

2) من خصائص "الخط الليبي" أنه ذو أشكال هندسية كالمربع المفتوح والدوائر والخطوط المتوازية والمتقاطعة والمنكسرة، بينما يتصف شكل الحروف البونيقية التي نجدها على العديد من النصب بالشكل الدائري السريع*.

* قارن بين الخط الليبي والبونيقي في شكل رقم 1، أعلاه.

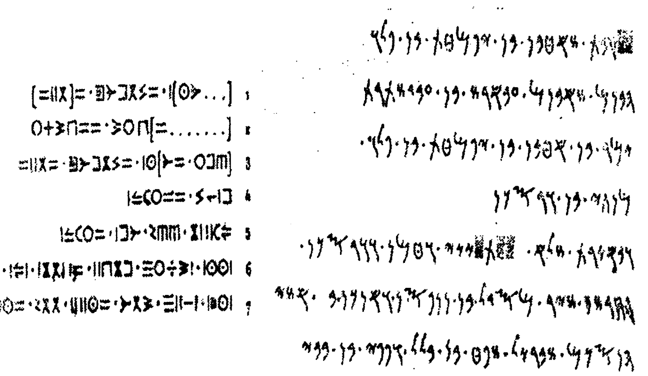

شكل 1: نقش توقه المزدوج بونيقي– ليبي، إكتشفه توماس داركوس سنة 1631.

3) اختلاف اتجاه الكتابة، فكل نقوش الكتابة البونيقية مثل النصوص السامية، تكتب في خطوط أفقية من اليمين إلى اليسار، بينما النقوش الليبية، تكتب عموما في صفوف عمودية من الأسفل إلى الأعلى والبداية من اليسار.

(Camps G. 1996, p. 2569)

4) حتى فكرة الكتابة الصامتة، فيمكن أن تكون هي الأخرى محل اعتراض، مادامت هذه الكتابة تتشكل من ثلاثة وعشرين حرفا صامتا ضمنها خمسة حروف لها أيضا دور الحروف الساكنة (لها قيمة صوتية) وهي حالة الرمز الذي يمثل حلة الحرف النصف السكن "و" (Y ,w) الذي استخدم للدلالة على الحرف الساكن u أو I وهو أيضا وضع رمز III الذي له قيمة حرف a (IDEM)

5) أما بخصوص اسم "التيفيناغ" المستشهد به لإثبات الأصل "الفنيقى" للكتابة الليبية، فهو قابل للنقاش مادامت تسمية "فينيقي" التي يفترض أن اسم "التيفيناغ" مشتق منها ليست سامية، لكنها إغريقية (Phoenix)، تدل على اللون الأرجواني، ووجود في لهجة الطوارق لفعل "افنغ" الذي يعنى "

أكتب"، حيث نلاحظ جذر (ف ن غ) أو (ف ن ق)، مما يؤكد فرضية الأصل المحلي، فضلا عن مدلول كلمة " تيفيناغ " الذي يحمل معنى الاكتشاف في اللغة الليبية: (تفى =اكتشاف، نغ = نا)، أي اكتشافنا.

تبقى آخر ذريعة يتمسك بها دعاة التأثير، وهى واقع عدم وجود كتابة ما قبل ألفبائية عند الليبيين، تستخدم كمرحلة انتقالية بين الكتابة التصويرية والكتابة الهجائية، وهو ما دفع الكثير من الباحثين إلى الميل للبحث عن هذه الحلقة المفقودة " في الفن الصخري" الذي يبدو أن خيوط الاتصال بينه وبين الكتابة الليبية الباكرة محتملة، ذلك أن هذا التراث الفني قد عرف تطورا واضحا في مجال التجريد والرمزية خلال المرحلة المتأخرة من عصور ما قبل التاريخ، المعروفة بمرحلة الحصان والعربة، حيث نجد فناني هذه المرحلة، قد استخدموا مجموعة من الرموز قريبة بشكل كبير من الحروف الليبية، لا يستبعد أن تكون أشكالا أولية لنوع من الكتابة التصويرية، خاصة أن تلك الأشكال ذات طابع هندسي (مربعات، دوائر، خطوط متوازية، خطوط متقاطعة)، تذكرنا بأشكال الخط الليبي المتميز بنفس الطابع الهندسي، مما دفع قزال إلى افتراض أن عددا منها استخدم دون أي تأثير أجنبي لتشكيل ألفباء ليبية خاصة (Gsell S.,1927, p .106) ، ولا نستبعد بالتالي أن تكون الكتابة الليبية تستمد جذورها من هذا المخزون المحلي الأصيل.

وهو الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى القول بضرورة البحث عن جذورها مع بداية النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد مع بداية ظهور الحصان والعربة في الرسوم الصخرية وإذا أخذنا بهذا الرأي، أمكننا القول في هذا المجال أن الليبيين غير مدينين للفينيقيين أيضا مادامت الفترة سابقة لقدوم الفينيقيين.

تلك خطوط عامة تستوجب وقتا طويلا وكلها جديرة بالدراسة والعناية، لكنني اختزلتها نظرا لسعة الموضوع الذي يعد " إشكالية" بحق، تتطلب بحثا مضنيا ودراسة أكثر عمقا، لا يسع لها مقام هذا البحث.

بيبليوغرافيا البحث

أولا: المصادر

1- Justin, (1833), Histoire universelle, (2 vol,), traduit par Jules Pierrot et E.Boitard, éd. Panckouck, (Paris 1833).

2- Herodote, (1964), Histoire, traduit par A. Barguet, éd. Gallimard (Paris 1964).

3- Homere (1965), L'Odyssée, traduit par M. Dufour et M. Raison, éd. Farnier Flammarion, Paris (1965).

4- Polybe (1970), Histoire, traduit par Denis Roussel, éd. Gallimard.

5- Salluste (C.), (1968), Guerre de Jugurtha, traduit par Gérard Walter, 2d. Gallimard.

ثانيا: المراجع

I.المراجع باللغة العربية:

1) المؤلفات:

- حارش (محمد الهادي)، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري (منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي)، المؤسسة الجزائرية للطباعة (الجزائر 1995).
- حارش (محمد الهادي)، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء مسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول (203 – 46 ق.م)، دار هومة للطباعة والنشر (الجزائر 1996).

2) المقالات (الدوريات):

- حارش (محمد الهادي)، " حول أصول عبادة آمون في المغرب القديم " مجلة الدراسات التاريخية، 4، (1988).
- حارش (محمد الهادي)، ثورة فيرموس (372–375م) ، مجلة الدراسات التاريخية ، 7 ، (1993).

II.المراجع باللغة الأجنبية:

1- المؤلفات:

1- Battendier et Trabut (1892) : L'Algérie.

2- Berthier, (A.) et Charlier (A.), (1955), Le Sanctuaire punique d'El Hofra à Constantine, éd. Arts et métiers graphiques (paris 1955).

3- Camps (G.), (1961), Aux origines de la berberie, Massinissa ou les débuts de l'histoire.

4- Camps-Faber, (H.), (1953), L'olivier et l'huile d'olive dans l'Afrique romaine.

5- Carcopino (J.), (1943) ; Le Maroc antique, éd. Gallimard (Paris 1943).

6- De Candolle (A.), (1935), Origine des plantes cultivées.

7- Decret (F.), Fantar (M.) ; (1981), L'Afrique du nord dans l'antiquité des origines au 5ème siècle, éd. Payot (paris 1981).
8- Dessanges (J.), (1961), Rome et la conquête du monde méditerranéen.
9- Frend, (W.H.C), (1942), "a note on the berber backgroud in the life of Augustine", Journal of theological studies, T. 63, (1942).
10- Gsell (S.), (1912- 1928), Histoire ancienne de L'Afrique du nord, (8 vols), éd. Hachette, Paris 1912-1928.
- T.1, 1912, « Les conditions du développement historique, les temps primitifs la colonisation phénicienne et l'empire de Carthage », 544p.
11- Gsell (S.), (1920), T.4, « La civilisation Carthaginoise »,515 p.
12- Gsell (S.), (1927), T.5, « Les royaumes indigènes organisation sociale, politique et économiques », 297 p.
13- Gsell (S.), (1927), T.6, « Les royaumes indigènes vie matérielle, intellectuelle et morale », 302 p.
14- Moret (A.), (1857), Le Nil et la civilisation Egyptienne, collection l'évolution du livre éd. Albert Michel (Paris 1857).
15- Muller (L.), (1860), Numismatique de l'ancienne Afrique, (3 vols), éd. Bianco-luno (Copenhague 1860)
16- Picard (G ch .), (1958), La vie quotidienne à Carthage au temps de Hannibal , ed . Hachette (paris 1958) .

2- المقالات (الدوريات):

1- Basset (H.), (1921), « Les Influences puniques chez les berbères», Revue Africaine, T.62 (1921).
2- Battendier et Trabut, (1892), L'Algérie.
3- Camps (G.), (1996) « Ecriture Libyque», Encyclopédie berbère, T. XVII, (1996).
4- Camps (G.), (1979) « Les Numides et la civilisation punique » Antiquités africaine, T .14, (1979)
5-CHAKER (S.), HACHI (S.), (1994) « à propos de l'origine et de l'âge de l'écriture libyco- berbère», Mélanges offerts à Carl –Prass (paris 1994)
6-Courtois(Ch.), (1950) : « Saint- Augustin et le problème de la survivance du punique », Revue Africaine, T.94 (1950).
7-Faid herbe (1873) : « Epigraphie phénicienne et Numidique », R.AF, (1873).
8-Joleaud (L.), (1929), « L'ancienneté de la fabrication de d'huile d'olive dans l'Afrique du nord», Revue africaine. , T. 70, (1929).
9-Maspero, (1897), « La table d'offrante » R. H.R, T. 35 ,(1897).

10- Mercier (G.), « Les divinités Libyques» R.A .S.C., (1900).

11- Peganiol (A.), « La Religion et les mouvements sociaux dans le Maghreb», cahier d'histoire mondiale, T.3 (1956 -57).

12- Santa (S.), (1958-59) « Essai de reconstitution de paysage Quaternaire d'Afrique du nord», Libyca , T. 6-7 (1958 -59).